# الكفاءة التداولية: قراءة في الأساس الاجتماعي للخطاب

**Pragmatic Competence : A Study in the sociological foundations of Discourse**

**د.فريدة موساوي [1] ***

[1] جامعة ـ البويرة (الجزائر) fmoussaoui.pragma@gmail.com

**تاريخ الإيداع**: 2021/08/14 **تاريخ المراجعة**: 2021/10/08 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

**ملخص:**

يحتل مفهوم الكفاءة مكانة مهمة في التحليل اللغوي المعاصر انطلاقا من كون استعمال اللغة يتوقف على أداء المتكلّم وتحكّمه في قواعدها وقدرته على التوليد في إطار هذه القواعد كما نظّر إلى ذلك ن.تشومسكي ( N.Chomsky,1967 ) بالدرجة الأولى. لكن، ومع بداية ظهور التداولية بدأ يتبلور مفهوم مواز للمفهوم الأول هو الكفاءة التداولية انطلاقا من كون عملية التواصل برمتها قائمة على معرفة المتكلم بالعالم، بمعنى إدراكه لطبيعة المتلقي والسياق الاجتماعي والثقافة السائدة، وهي كلها معطيات خارج . لغوية Extra-linguistique. فالكفاءة التداولية، من هذا المنظور، سابقة على الكفاءة اللغوية وتساهم في توجيهها الاتجاه الذي يخدم أهدافها. وعلى هذا الأساس فإن هدفنا من هذا البحث الكشف عن طبيعة الكفاءة التداولية وآليات اشتغالها في الخطاب والتأكيد على مدى ارتباطها بالطبيعة الاجتماعية لعملية التواصل.

**الكلمات المفتاحية**: كفاءة تداولية؛ خطاب؛اثنوميتودولوجيا؛مقام.

***Abstract:***

*The concept of competence occupies an important place in contemporary linguistic analysis, based on the fact that the use of language depends on the speaker's performance and control over its rules and his ability to generate within the framework of these rules, as theorized by N. Chomsky (N. Chomsky, 1967) in the first place. However, with the beginning of the emergence of pragmatics, a concept parallel to the first concept, which is pragmatic competence, began to dominate in liguistic field, based on the fact that the entire communication process is based on the speaker's knowledge of the world, that is to say, his awareness of the status of the recipient, the social context and the prevailing culture, all of which are extra-linguistic elements of discourse.*

*From this perspective, pragmatic competence precedes linguistic competence and contributes to directing it toward discourse's objectives. On this basis, our aim in this research is to reveal the nature of deliberative competence and the mechanisms of its operation in discourse, as well as to emphasize the extent to which it is related to the social nature of the communication process.*

***Key words:*** *Pragmatic competence, Discourse, Ethnomethodology, Context .*

* المؤلف المراسل.

**1.مقدّمة**

تندرج المقاربة التداولية في دراسة الخطاب في مسار تطور حقلين مهمين في العلوم الإنسانية هما : الدراسات اللغوية ( Linguistics ) والدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية، وهو ما يفسّر انتماء أعلام هذه النظرية أمثال (ج.غامبرز J.Gumpez ) و ( إ.غوفمان E.Goffman ) ود.هايمز ( D.Hymes ) إلى هذه الميادين. وعلى المستوى المنهجي فإن ظهور التداولية ( Pragmatics) ساعد بشكل حاسم في تطور تحليل الخطاب بحيث أصبحت دراسته تشكل حقلا متعدّد الاختصاصات ( Inter-disciplinary ). « يعتبر تيار تحليل التخاطب أو المحادثة أبرز تمثيل للمنحى التداولي في التحليل والمتمثل في الإطار التجريبي »1. ويعكس هذا المنحى التجريبي في دراسة اللغة التوجهات العامة في دراسة أنظمة التواصل والتفاعل الاجتماعي واللغوي بداية من خمسينيات القرن الماضي، وهو توجه مهدت له فلسفة اللغة التي ركزت على دراسة اللغة في الاستعمال. ويمكن اعتبار نظرية أفعال الكلام عند ج.ل.أستن ( J.L.Austin) كمعلم أساسي لهذا التوجه التجريبي في دراسة اللغة.

وفي خضم هذا التطور الحاصل في دراسة اللغة والتواصل الذي أفضى إلى ظهور حقل جديد هو تحليل الخطاب، برزت أسئلة وإشكالات وضعت التداولية نفسها على المحك، أو على الأقل، طبيعة العلاقة التي تربطها بتحليل الخطاب. وإذا توخينا الدقة أكثر فإن الإشكال الذي طرح في هذا المضمار هو تحديد العناصر التداولية في الخطاب.

2.من الكفاءة اللغوية إلى الأداء

تعتبر الكفاءة اللغوية فكرة مركزية في نظرية النحو التوليدي عند تشومسكي وبدأ تركيزه عليها بداية من كتابه (خصائص النظرية التركيبية) حيث استهل الكتاب بهذا الموضوع في فصل بعنوان (النحو التوليدي كنظريات للكفاءة اللغوية)2. انطلق تشومسكي من كون اللسانيات الكلاسيكية (أي تلك التي سبقت نظريته التوليدية ) كانت تنظر إلى الكفاءة اللغوية في إطار نموذجي يقتضي معرفة مثالية لمستعمل اللغة بقواعد هذه اللغة وعدم الأخذ بعين الاعتبار تلك العوامل التي قد تتدخل أثناء هذا الاستعمال مثل إخفاقات الذاكرة وارتكاب الأخطاء اللغوية ووجود مظاهر للتشويش، الخ، بمعنى عدم الأخذ بعين الاعتبار عوامل غير نحوية في عملية استعمال وتلقي اللغة3. ويشير تشومسكي صراحة إلى أن هذا التصور للكفاءة اللغوية كان بالذات تصور مؤسسي اللسانانيات الحديثة، في إشارة إلى سوسير.

لم يكن تشومسكي مقتنعا بهذا التصور المبتور للكفاءة اللغوية التي تم حصرها في اللغة. لقد تفطن تشومسكي، على غرار اللسانيين الأمريكيين في الخمسينيات والستينيات، لأهمية الظروف المحيطة بالحدث اللغوي من منظور علاقة التأثر والتأثير التي تتحكم فيها. « لدراسة الأداء اللغوي علينا، في الواقع، أن نأخذ بعين الاعتبار تفاعل مجموعة من العوامل تعتبر الكفاءة اللغوية واحدة منها فقط. وعلى هذا الأساس فإن دراسة اللغة لا تختلف عن الدراسة التجريبية للظواهر المعقدة الأخرى »4.

فبالنسبة لتشومسكي فإن الكفاءة اللغوية يجب ربطها بالأداء الذي يعتبر هو الآخر أحد المفاهيم المركزية في نظرية النحو التوليدي. فالأداء، عند تشومسكي، يحقق ما أسماه المقبولية، مقبولية الجملة التي

يصوغها المتكلم. « الجمل المقبولة هي تلك التي ينتجها معظم المتكلمين، وتكون سهلة الفهم، أقل تهلهلا، وأكثر عفوية »[5].

ولتوضيح المسألة أكثر نقدم هذا المثال المقتبس عن تشومسكي:

مثال (1)

أ.(1) هاتفت الشخص الذي ألّف الكتاب الذي حدّثتني عنه.

(2) عدد قليل من الطلبة الذين التقيتَهم والذين قدموا من وهران هم أصدقائي.

ب. الشخص الذي كان الولد الذي أقرّ الطلبة بالإشارة إليه كان صديقا لي6.

فالملاحظ في هذا المثال أن الجملتين أ.(1) و أ.(2) أوضح وأسرع للفهم من الجملة ب.الأمر هنا لا يتعلق، كما يؤكد تشومسكي، بعامل السلامة اللغوية، بل بتركيب الجملة. وهذا يعنى أن سبب الخلل يقع خارج دائرة القواعد النحوية ، بل أن الجملتين أ.(1) و أ.(2) أقل التزاما بهذه القواعد من الجملة ب، ومع ذلك فهما أكثر مقبولية منها.

والسبب في ذلك «أن المقبولية مفهوم مرتبط بالأداء اللغوي، بينما ترتبط السلامة النحوية بالكفاءة اللغوية »7.

لقد كان لتركيز تشومسكي على الكفاءة اللغوية أثر حاسم في تطوير هذا المنحى في الدراسات اللسانية حيث أدى في البداية إلى ميلاد مفهوم الأداء، ثم سيؤدي لا حقا إلى ظهور مفهوم الكفاءة التداولية، حيث يستوعب المفهوم الجديد المفاهيم السابقة بهدف صياغة نظرية تواصلية شاملة.

3.الكفاءة التداولية:

يشير مفهوم الكفاءة التداولية8 إلى قدرة مستعمل اللغة على استيعاب العناصر خارج ـ لغوية وتوظيفها أثناء التخاطب سواء في توجيه الكلام أو في تأويل ما يسمعه. ويرى غامبرز أنه « للمشاركة في الخطاب ، بمعنى التأسيس له والحفاظ على استمراريته، فإننا نحتاج إلى معلومات وقدرات تتجاوز كفاءتنا النحوية التي تقف عند حدود الجمل القصيرة والمعزولة »9. وبهذا المعنى تصبح الكفاءة التداولية استراتيجية شاملة للتخاطب تستوعب العناصر غير اللغوية التي تقوم بدور الموجّه للخطاب. فالجملة المنطوقة من هذا المنظور هي محصلة تلك العناصر التداولية التي تتحكم في إنتاج الخطاب برمته.

فالمعرفة التداولية هب تلك التي يكتسبها مستعمل اللغة من خلال الاندماج في الحياة الاجتماعية، وهي مختلفة في طبيعتها عن المعرفة اللغوية التي يعتبرها تشومسكي معرفة غريزية10. وتتوزع هذه المعرفة على ثلاثة أقطاب هي :

1.3.الموضوع وهوية المتكلم والمتلقي :

إنه من البديهيات اعتبار عملية التواصل عملية مقصودة في غالب الأحيان، مع احتمال حدوثها بطريقة غير مقصودة أحيانا، ويعني هذا أن المشاركين فيها يشتركون في حد أدنى من هذا القصد أو بصورة أدق الموضوع، وإلا حدثت استحالة لإقامة هذا التواصل. فنحن هنا أمام علاقة موضوع بين أطراف العملية التواصلية تم التعبير عنها بإطار المشاركة Participation framework . يُقصد بإطار المشاركة، وهو مفهوم أساسي في أعمال إرفين غوفمان 11، مجموع المشاركين في عملية التخاطب، أو عملية التفاعل كما يسميها غوفمان، في توقيت ومكان محدّدين. فالمشارك في الخطاب في حد ذاته معطى تداولي يتوقف عليه فهم الخطاب ومآلاته. يتعلق الأمر هنا بالمعطيات المحيطة بإنتاج الخطاب والتي بدونها لا يمكن حدوث عملية تواصل. وفي رأي غوفمان فإن الأمر هنا يتعلق بعنصرين هما « وجود رغبة في التواصل ووجود الكفاءة على تحقيق هذه الرغبة »12. ويجب أن تكون هذه الرغبة متبادلة ويقوم المتكلم برصد وجودها لدى المتلقي وهنا تظهر كفاءته التداولية. كما تساعده هذه الكفاءة أيضا في تحديد أفق الخطاب وهدفه. « فقبل الانخراط في أي تفاعل يتوجب علينا معرفة، ولو بشكل عام، الموضوع الذي يدور حوله الكلام والمُتَوَقَّع منا فعله. فأحيانا يتعلق الأمر بإبداء موافقتنا على أمر ما وفي أحيان أخرى يتعلق الأمر فقط بالدردشة وقتل الوقت أو استعراض لتفاصيل موضوع معيّن »13.

ويتحدث منغونو Maingueneau أيضا عن تراتبية هدف الخطاب بحيث «يكون هدف الخطاب متضمنًا في هدف آخر قد يكون هو المقصود »14. فعندما يدعوا موظف زميله في العمل على شرب فنجان قهوة قد يُؤول بشكل مختلف عندما تُضاف معلومة تخص العلاقة بين المتكلّم والمتلقي كأن تكون علاقة توتر. هنا يتحول الهدف الظاهر من الدعوة وهو الدردشة إلى أداة يستطيع من خلالها المتكلّم التأكد من زوال التوتر بينه وبين المتلقي. ولهذا السبب بالذات يركّز تحليل الخطاب على قضية العلاقات التي تربط بين المشاركين في الخطاب.

وتحاول نظرية التخاطب عند ج.غمبرز J.Gumperz رصد الأسس التي تنبني عليها عملية التواصل انطلاقا من طبيعة المشاركين في الخطاب، حيث تصبح هذه المعطيات بمثابة الموجه للخطاب في شكله المنجز. ومن بين هذه الأسس :

- وجود علاقة رغبة أو على الأقل قبولية في إقامة تواصل عند المتكلم والمتلقي.
- صياغة المتكلم لخطابه في أفق تأويلي من قبل المتلقي.
- خلفية المتلقي في تأويله لخطاب المتكلم .

وبالنسبة لغامبرز دائما فإن تأويل الخطاب، أو بالأحرى الوصول إلى مضمون العملية التواصلية، لا يتوقف فقط على تلك الأطر التقليدية المحصورة في اللغة بل يتجاوز ذلك إلى التأطير الاجتماعي للتخاطب. إن «عملية التواصل نشاط اجتماعي يتطلب مشاركة شخصين أو أكثر بحيث أن مجرد الكلام الذي ينتج جملاً حتى وإن كانت في غاية التناسق والفخامة لا يستطيع بنفسه أن يحقّق التواصل»15. فالدلالة، من هذا المنظور، لا

توجد في اللغة فحسب بل في جوانب أخرى محيطة بالعملية التواصلية. بل أن هذه الدلالة اللغوية في حد ذاتها قد تصبح مُعَطّلة ما لم تؤازرها تلك العناصر الخارج لغوية والتي لخّصها غامبرز في الأساس الاجتماعي للتخاطب.

ينظر غمبرز إلى التخاطب على أنّه خاضع لإستراتيجية شاملة لا تخص فقط استعمال اللغة بل تتعلق خاصة بقدرة المتكلم على رصد أفكار المتلقي والإحاطة بحيثيات الخطاب ومراميه وكذا قدرته على تأويل الكلام والأحداث على حد سواء، بالإضافة إلى عنصر جوهري وهو إدراك المتكلم لما عليه قوله أو فعله. ويربط غمبرز بين حدوث التواصل واستجابة المتلقي : «فالتواصل يتحقق فقط عندما تثير الخطوة الأولى ردة فعل»16. فعملية التخاطب عملية ذهنية ولغوية وجسمانية واجتماعية وهو ما ذهب إليه غوفمان في قوله: « إن الفرد يتعامل مع محيطه ويؤثر فيه بطريقته الخاصة التي تنسجم مع أفعاله وطبائعه »17.

ومن مؤشرات وجود الكفاءة التداولية أن المتكلّم يُخضع ممارسته للخطاب لاعتبارات محدّدة وأهداف مسطرة مسبقا، فهو ليس مجرد مستهلك سلبي لإشارات التواصل. « إننا عادة لا نستجيب بشكل أوتوماتيكي لأي كلام نسمعه . ففي حياتنا اليومية نتلقى عددا كبيرا من الإشارات المتنوعة ، وهي من الكثرة بحيث يتعذّر علينا التجاوب معها»18. ويعني هذا أن الخطاب مرتبط بالحياة الاجتماعية للفرد، وهو ما يسميه غمبرز بالأساس الاجتماعي للغة، بحيث يعى دوره على أساسها، وحيث عليه أن لا يتجاوز ذلك إلى ما لا يخصه أو يفيده.

2.3.فهم العلاقات الاجتماعية

ويمكن فهم الخطاب ككل في ضوء العلاقات الاجتماعية وما تنطوي عليه من طقوس للتخاطب. وينبّه غمبرز هنا إلى أن « الاستجابة يجب أن تكون لما نعتقد أن المتكلم يقصده وليس بالضرورة إلى المعنى الحرفي للمفردات التي استعملها »19. وما يؤكّد هذه الفكرة المثال الحي الذي قدمه غمبرز وهو عبارة عن حوار عادة ما يدور بين موظفين في مكتب العمل.

مثال (2)

أ.1 . هل ستبقى هنا لعشرة دقائق؟

ب.1 . خذ استراحتك دون إشكال. بل أمضي وقتا طويلاً إن شئت.

أ.2. سأكون قريبا من هنا عند المدخل فقط.

تستطيع أن تكلمني إن احتجت إلى ذلك.

ب.2 . موافق، لا تقلق20.

إن القراءة العفوية لهذا الحوار تصطدم بعدة عراقيل منها :

ـ المفترض أن يجيب المتلقي (ب.1) على السؤال، ولكننا نجده يصدر أمرا (استعمال صيغة الأمر في الفعل خذ)، وهذا يجعل الحوار مبتورا.

ـ عندما استعمل المتلقي (ب.1) الأمر في الفعل (خذ) فهو لا يقصد فعلا الأمر ولكن الطلب، بمعنى أنه يقترح على المتكلم الأول أن يخرج للاستراحة دون إشكال.

ـ أدوات الربط اللغوية غير موجودة بين مقاطع الحوار وتظهر كل جملة وكأنها مستقلة عن التي قبلها. وهنا يُطرح السؤال عن إمكانية وجود ربط معنوي.

وإذا افترضنا أن المتكلم (ب) كان يدرك فهم المتلقي لما يقوله وأنه يتضمّن جوابا بالموافقة، فما هي المعايير التي اعتمدها في معرفته بقدرة المتلقي على فهم ما يقول خارج نطاق التعبير21. وبهذا المعنى فإنه لا توجد في الواقع مفاتيح لغوية يتّكأ عليها المتكلّم والمتلقي لفهم المقصود من وراء التعبير، وأن الأمر يتعلّق هنا بمعرفة متبادلة تخص :

.وقوع المحادثة في مكان عمل.

. انتماء المتكلم والمتلقي إلى فئة الموظفين في هذا المكان.

. إدراك المتكلم والمتلقي لما يجري عادة في هذا المكان مثل مواعيد الاستراحة والترويح عن النفس.

. إدراك المتكلّم والمتلقي لضرورة مساعدة بعضهم البعض في هذه المواعيد. 22.

فأجزاء الحوار هنا كانت معدة مسبقا وتعكس طبيعة العلاقات الإنسانية في مكان العمل، كما أنها تعبّر عن تقاليد اجتماعية وليست مجرد استعمال للغة أو إجابة عن أسئلة.

2.3.معرفة الإطار الزماني والمكاني : الأساس الاجتماعي للخطاب

تشمل المنطلقات المنهجية للتحليل التداولي للتخاطب الاهتمام بالإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي، وكذا الاهتمام بمشهد التخاطب . يقتضي مشهد التخاطب إجراء تعديلات في استراتيجية التخاطب كلما برزت مستجدات تخص المشهد ( مثل ظهور علامات غضب، انضمام شخص جديد إلى الحديث، وقوع حدث بجوار مشهد التخاطب، وجود فضوليين في محيط عملية التخاطب، الخ ). « عند الانخراط في التفاعل الكلامي فإنّه يتعيّن على كلّ من المتكلّم والمتلقي التجاوب مع كل الدلالات سواء كانت مباشرة ممثلةً في اللغة أو في الحركات الجسمانية وأنواع الإشارات الأخرى»23. فلفهم مغزى الخطاب يجب الرجوع إلى المقام الذي ورد فيه، بمعنى الرجوع إلى ظروف إنتاجه. ويعني هذا أن الخطاب لا يمكن صياغته مسبقا وإنما تتم هذه الصياغة أثناء ممارسته في الواقع. يقول غوفمان عن دور المشاركين في الخطاب : « إن مجرد حضور الشخص كفيل بإنتاج علامات وآثار دلالية »24.

وعلى هذا الأساس فإن التداولية قدمت تصورا لعملية التخاطب يجمع مختلف المعطيات اللغوية وغير اللغوية في إطار علاقة التفاعل فيما بينها على نحو ما يوضحه الرسم (1)25 :

الرسم (1)

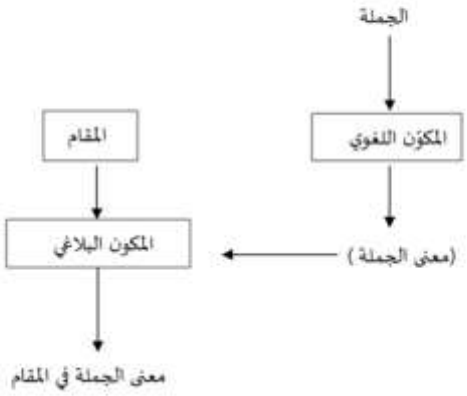


فالمقام، الذي يشمل جميع المعطيات غير اللغوية، هو الذي يحدد بشكل حاسم معنى الجملة.

كما أن الإطار الزماني والمكاني يتسع في معظم الأحيان ليشمل البيئة الاجتماعية، ماضيا وحاضرا، بمحمولاتها الفكرية والثقافية والحضارية العامة. لقد شكّلت هذه القضايا وغيرها محور الحقل التداولي في دراسة اللغة والتفاعل الاجتماعي عند غامبرز وغوفمان وهايمز Hymes، مع تركيز الأول على التخاطب وتركيز الثاني على التفاعل الاجتماعي وتركيز الثالث على الخلفية الثقافية ـ الإثنية للكلام ( Ethnography of speaking ). وتندرج المقاربة الإثنية عند هايمز في إطار الأساس الاجتماعي للخطاب الذي يتضافر مع مساهمات غوفمان في التفاعل الرمزي مما أدى إلى إضاءة جوانب خفية في دراسة اللغة والتواصل.

وإذا نحن تأملنا المتن المفهومي لدراسة غمبرز للإستراتيجية الخطابية فإننا نقف على مجموعة من الأسس التي ينبني عليها التخاطب بالرغم من أنه لم يخصص لها مباحث مستقلة. وتزداد هذه الأسس وضوحا من خلال المنحى الذي اتخذته اللسانيات التداولية وحقل تحليل المحادثة والتحليل التداولي للخطاب. إن هذه الأسس لا تخرج في الحقيقة عن إطار الدور الحاسم الذي تلعبه الكفاءة التداولية في عملية التواصل.

تتحدد العلاقة بين الأساس الاجتماعي والأساس اللساني للخطاب من منظور الدور الذي يضطلع به كل علم. « ففي الوقت الذي يتكأ فيه اللسانيون على مفاهيم علم الاجتماع مثل مفهوم الجماعة والوضع الاجتماعي (statut ) والدور والوظيفة الاجتماعية في دراستهم للغة، بمعنى دراستهم للمعايير الاجتماعية في استعمال اللغة، فإن علماء الاجتماع ، في المقابل، يوظفون المتن النظري للسانيين في دراستهم لمرجعيات الدلالة والتركيب في اللغة »26. . فالإطار المكاني لا يشير إلى طبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه المشاركون في الخطاب فحسب، بل إلى فترة تاريخية محدد يؤشر عليها توقيت الخطاب، بمعنى الإطار الزماني له. ومن هنا يمكن القول أن الكفاءة التداولية لمستعمل اللغة مرهونة بفهمه لقواعد التخاطب في مجتمع محدد وفي زمن محدد. « يعتبر الخطاب بمثابة إعادة ترتيب لسياق الحياة الاجتماعية، بمعنى أننا نستنبط منه الممارسات الاجتماعية كما نظّر لها بيير بورديو P.Bourdieu وتالكوت بارسن Talcott Parsons وكلود لفيس ستروس C.Levis-Strauss»27.

4.3..معرفة موسوعية

يرى منغونو أن فهم الخطاب « ليس مرهونا فقط بالكفاءة اللغوية بل أن هذا الفهم مرهون بمعرفتنا للعالم، وهو ما يمكن أن نسميه بالمعرفة الموسوعية Savoir encyclopédique »28. تتضمن المعرفة الموسوعية، على سبيل المثال لا الحصر، هوية المتكلّم وكل ما يتعلق بشخصيته، خلفيتنا المعرفية فيما يتعلق بأسماء الأعلام الواردة في الخطاب سواء تعلق الأمر بأسماء الأشخاص أو بأسماء الأماكن، ومرفتنا بقواعد التخاطب وخصائصه البنائية، وما إلى ذلك مما يدخل في إطار مهارات التواصل لمستعمل اللغة.

وإذا كان منغونو قد أشار إلى إشكالية تحديد عناصر السياق29 فإن فان دايك Van Dijk يُرجعُ ذلك إلى عدم وجود دراسات متخصّصة فيه ومستقلّة به30. فالأمر لا يتعلّق فقط بتلك العناصر الخارجية المحيطة بالتفاعل الكلامي مثل المكان والتوقيت والمشاركين وغير ذلك بل علينا أن نأخذ بعين الاعتبار معطيات سابقة على هذا التفاعل، وهنا يظهر دور المعرفة الموسوعية بالعالم. في البداية يفرّق فان دايك بين العناصر البنائية للخطاب والسياق. يعترف فان دايك بوجود تراكم رهيب لهذه العناصر البنائية كنتيجة حتمية لكثافة الدراسات المنجزة حول تحليل الخطاب.« لكن يمكن الإشارة إلى العناصر شبه اللغوية paraverbal والعناصر المرئية والعناصر الصوتية والعناصر والعناصر التركيبية والعناصر الدلالية والعناصر الأسلوبية والعناصر البلاغية والعناصر التداولية والعناصر التفاعلية »31.

ففهم عناصر السياق من قبل المتكلم مرهون بمعرفته الموسوعية، فليس الذي يهمه تحديدها أو تصنيفها وإنما الذي يهمه ما يملك من معرفة حولها لأن هذه المعرفة ضرورية له في توجيه الخطاب الوجهة التي تخدم أهدافه أو قناعته.

5.3.معرفة إدراكية

يتبيّن لنا من خلال تفاعل عناصر الإطار الإجتماعي في الخطاب أنه على المتكلّم أحيانا أن يتفطّن للمغزى الحقيقي لبعض المفردات أو العبارات التي عادة ما تكون لها دلالة متفق عليها ولكن ليست هي المقصودة في توقيت ومكان ومشهد النطق بها أو استعمالها. « يمكن النظر إلى بعض الملفوظات أثناء الكلام على أنها أدوات يستعملها المتكلّمون لتحقيق أهداف غير كلامية، بمعنى أنه لا علاقة لمعناها بما يريدون قوله »32. وقد ركّز هارفي ساكس H.Sacks في تحليل المحادثة على هذه الملفوظات واعتبرها مفاتيح تكشف عن الأهداف الحقيقة للخطاب مثل قول المتكلّم بأنه لم يسمع جيدا كلام الطرف الآخر، وهي عبارة يُقصد بها رفض الإجابة عن سؤال معيّن33. كما أن قول المتكلّم أحيانا بأنه يريد الذهاب إلى البيت قد تكون إشارة خفية إلى عدم رغبته في التخاطب سواء كان السبب موضوع الخطاب أو شخصية المتلقي.

غير أن هذه المعرفة الإدراكية قد تدخل أيضا في نسيج البنية الدلالية للخطاب وتعبر عن رغبة المتكلّم في جعل كلامه أكثر مقبولية عن طريق الحفاظ على وجه المتلقي ـ بمعنى اللباقة ـ أو جعل الخطاب أكثر اتساقا مما يسمح بسهولة تلقيه. « كما ينطوي التخاطب أيضا على أدوات كلامية هدفها ضبط وتوجيه الخطاب كالانتقال من موضوع إلى آخر أو رفض الخوض في موضوع محدد أو استدراج الطرف الآخر إلى موضوع ما. فالقضية هنا تتعلق بالكشف عن بنية التفاعل الكلامي »34.

فالأمر هنا يتعلق بقدرة المتكلّم الإدراكية، بمعنى فطنته وبديهته التي تمكّنه من الربط بين الأفكار والإشارات الواردة في الخطاب. فالقضية هنا لا تتعلق بالمعرفة اللغوية بل بتوظيف كفاءة فكرية قصد فهم الخطاب واختيار موقف مناسب له. « والأكثر من ذلك فإن دور اللغة في التفاعل يقتصر على كونها مجرد ناقل لمقاصد المشاركين من منظور إدراكي، وهذا يعني أنها تشكل مظهرا سطحيا أو ثانويا من مظاهر التفاعل 35».

من هنا يظهر أيضا أن اللغة، على خلاف ما كان شائعا، تعاني من مشكلات كثيرة .« الغريب في الأمر أنّه لم يسبق أن تكلم الدارسون عن مشكلات اللغة إلا في إطار خارج عنها مثل الترجمة والازدواج اللغوي والأمية وتطور هذه اللغة، بل على العكس من ذلك، كان الحديث عنها، حتى في الدراسات اللغوية، مبطنا بالإطراء »36.

4.خاتمة

لقد كشف مفهوم الكفاءة التداولية عن مدى القصور الذي كان يعترى نظرية التواصل لأنه لا يمكن الركون إلى اللغة لفك شفرات الخطاب. فالغموض الذي كان كثيرا ما يشار إليه في علم الدلالة على الخصوص كان مرده في معظم الأحيات لهيمنة فرضيات لغوية مسبقة أقصت العناصر التداولية من التحليل.

ولعل من الاستنتاجات الملموسة لهذا البحث أيضا أن مفهوم الكفاءة التداولية يندرج في مسار تطور طبيعي للدرس اللساني المعاصر بحيث مر هذا المسار بثلاثة خطوات هي : 1) الكفاءة اللغوية . 2) الأداء. 3) الكفاءة التداولية. كما يتضح لنا أيضا أن اشتغال الكفاءة التداولية يتسم بالتكامل والتفاعل بحيث تؤازر المعرفة الموسوعية مثلا المعرفة الإدراكية، فلولا ثقافة المتكلم السابقة لما تمكّن من استنباط مقاصد الخطاب التي كثيرا ما يعتريها التمويه والمراوغة.

**هوامش وإحالات المقال**

1 Claus P.Schneider and Anne Barron, Pragmatics of Discourse, Walter de Gruyter, Berlin 2014.p.97.

[2] Noam Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, The M.I.T Press, Massachussetts, 1965.p.3.

[3] Noam Chomsky , op.cit., p.3.

[4] Noam Chomsky , op.cit., p.4.

[5] Noam Chomsky , op.cit., p.11.

[6] Noam Chomsky , op.cit., p.11.

[7] Noam Chomsky , op.cit., p.11.

[8] Dominique Maingueneau, Les termes clés de l'analyse du discours, Seuil, Paris 1996.p.16.

[9] John J.Gumperz, Discourse strategies, Cambridge University Press, USA 1982. p.1.

[10] نعوم تشومسكي وميشيل فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، ترجمة أمير زكي، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة 2015.ص22.

[11] Erving Goffman, Forms of talk, University of Pennyselvania Press, Philadelphia, USA 1981.137.

[12] Erving Goffman, Strategic Interaction, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, USA 1969.p.7.

[13] John J.Gumperz, op.cit., p.1.

[14] Maingueneau, op.cit., p.23.

[15] John J.Gumperz, op.cit., p.1.

[16] John J.Gumperz, op.cit., p.1.

[17] E.Goffman, op.cit., p.4-5.

[18] John J.Gumperz, op.cit., p.1.

[19] John J.Gumperz op.cit., p.1.

[20] John J.Gumperz, op.cit., p.1.

[21] John J.Gumperz, op.cit., p.2.

[22] John J.Gumperz, op.cit., p.2.

[23] John J.Gumperz, op.cit., p.1.,

[24] E.Goffman, op.cit., p.5.

[25] Marie-Anne Paveau et Georges-Elia Sarfati, Les grandes théories de la linguistique : De la grammaire comparée à la pragmatique, Armand Colin 2003.p.221.

[26] John J.Gumperz, op.cit., p.3.

[27] Theo Van Leeuwen, Discourse and Practice, Oxford University Press, New York 2008. p.4.

[28] Maingueneau, op.cit., p.34.

[29] Maingueneau, op.cit., p.22.

[30] T.Van Dijk, Multidisciplinary DCA : a plea for diversity, in Ruth Wodak and Michael Meyer, Methods of Critical Discourse Analysis, Sage Publications, London 2001.p.108.

[31] T.Van Dijk, op.cit., 98 – 99.

[32] Robin Wooffitt, Conversational Analysis and Discourse Analyis, Sage Publications, London2005.p.6.

[33] Robin Wooffitt, op.cit.,p.6.

[34] Robin Wooffitt, op.cit.,p.8.

[35] Robin Wooffitt, op.cit.,p.8.

[36] Dell Hymes, Ethnography, Linguistics, Narrative Inequality: Toward an Understanding of Voice, Taylor and Francis, London 2004. p.26-27.

## قائمة المراجع

### أ.باللغة العربية

1. نعوم تشومسكي وميشيل فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، ترجمة أمير زكي، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة 2015.

### ب.باللغة الأجنبية

1.Claus P.Schneider and Anne Barron, Pragmatics of Discourse, Walter de Gruyter, Berlin 2014.

2.Dell Hymes, Ethnography, Linguistics, Narrative Inequality: Toward an Understanding of Voice, Taylor and Francis, London 2004.

3.Dominique Maingueneau, Les termes clés de l'analyse du discours, Seuil, Paris 1996.

4.Erving Goffman, Strategic Interaction, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, USA 1969.

5. Erving Goffman, Forms of talk, University of Pennyselvania Press, Philadelphia, USA 1981.

6.John J.Gumperz, Discourse strategies, Cambridge University Press, USA 1982.

7.Marie-Anne Paveau et Georges-Elia Sarfati, Les grandes théories de la linguistique : De la grammaire comparée à la pragmatique, Armand Colin 2003.

8.Noam Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, The M.I.T Press, Massachussetts, 1965.

9.Robin Wooffitt, Conversational Analysis and Discourse Analyis, Sage Publications, London2005.

10.Theo Van Leeuwen, Discourse and Practice, Oxford University Press, New York 2008.

11.T.Van Dijk, Multidisciplinary DCA : a plea for diversity, in Ruth Wodak and Michael Meyer, Methods of Critical Discourse Analysis, Sage Publications, London 2001.